التعريفات المعجمية بين التنظير والممارسة

صونية بكال* مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربية -الجزائر- bekalsonia@gmail.com

كريمة بوعمرة جامعة الجزائر 2 -الجزائر- bouamrakarima67@gmail.com .

تاريخ الاستلام: 2022/03/11 تاريخ القبول: 2022/04/13

ملخّص

تتميز اللغة العربية بامتداد عبر الزمن، صاحَبه تغيير دلالات بعض مفرداتها وتوليد أخرى، فيطرح هذا البحث إشكالية صياغة التعريف في القواميس الحديثة، نحاول أن نقاربه بمقارنة التنظير له في مقدّمات هذه القواميس وصياغته في المتون لإظهار بعض الإشكالات التي استجدت في هذه الممارسة والتي عقدت مهمة المعجمي.

الكلمات المفتاحية:

القاموس - التعريف - المقدمة - الدلالة - التحيين.

المؤلف المراسل: صونية بكال البريد الالكتروني: bekalsonia@gmail.com

Définitions lexicographiques entre théorisation et pratique

Résumé

La langue arabe - vu son extension dans le temps - a connu des changements de la signification d'une partie de son vocabulaire, ainsi que des néologismes. Cette recherche porte sur la problématique de la formulation de la définition dans les dictionnaires modernes, que nous essayons d'aborder en comparant son aspect théorique dans les introductions de ces dictionnaires, et la rédaction de la définition elle-même, afin de mettre en exergue certains problèmes qui ont surgi dans cette pratique et qui ont compliqué la tâche du lexicographe.

Mots clés:

Dictionnaire - Définition - Introduction - Signification - Actualisation.

Lexicographic definitions between theorization and practice

Abstract

The Arabic language - due to its extension over time - has experienced changes in the meaning of part of its vocabulary, as well as neologisms, this research focuses on the problematic of the formulation of the definition in modern dictionaries, which we are trying to approach by comparing its theoretical aspect in the introductions of these dictionaries, and the drafting of the definition itself, in order to highlight some problems that have arisen in this practice and have complicated the task of the lexicographer.

Keywords:

Dictionary - Definition - Introduction - Meaning - Actualization.

مقدّمة

تعتبر إشكالية التقليد والتجديد في القواميس اللغوية محور العمل المعجمي، حكمت هذا النوع من التأليف ومساره، وتشكل مقدمات القواميس حيزا مهما تتجلى فيه آثار المحافظة والتحديث، إلا أن العلم بالمنهج لا يسهّل دوما عمل المعجمي، فالقاموس مشرّع اللغة، والمعجمي مسؤول عن كل تغيير يمس نصوص القدماء باعتبارهم أدرى الناس بها بحكم سليقتهم، وما يزيد العملية تعقيدا ارتباط العربية بالدين الإسلامي وبالقرآن الكريم.

رافق الامتدادَ الزمني للغة العربية تغيرٌ طبيعي في دلالة المفردات، واستحداث مفردات مشحونة بدلالات جديدة، ويفترض أن يكون القاموس هو المرآة التي تعكس هذا التطور، ويكون المعجمي شاهدا على عصره، مدونا لما استجد في زمنه، فيطرح البحث هذه التساؤلات:

- هل اعتنت المقدمات بالدلالة والتعريف، وهل طرحت إشكالية التغيير؟
- هل وصل التعريف الذي ظهر في أول قاموس في أولى القرون الهجرية، وتناقلته القواميس إلى حد من الكمال مما يستدعي غلق باب الاجتهاد؟
- كيف تعامل المعجميون مع الدلالات الجديدة منها خاصة؟

فنحاول في هذه المداخلة معاينة مجموعة من القواميس لنستطلع موقف هذه القواميس من التغيير وتنظيرها للتعريف من خلال المقدمات، وبعض ما يعانيه المعجمي أثناء التطبيق أي حين صياغته للتعريفات.

1. تحديد المفاهيم

1.1. المقدمة في القواميس:

لا تعتبر المقدمة في القاموس عنصرا هامشيا، فلا يمكن بالنظر إلى طبيعتها ولمن تمرس النظر فيها أن يهمل مكانتها، فمقدمة القاموس هي البوابة التي توصلنا إلى المتن وهي عمود أساسي يقيم أصول الصناعة المعجمية، إذ تبين هذه الأصول ما ينعقد عليه استعمال القاموس والقواعد التي بني عليها في التأليف والوضع، «فمن وجهة الصناعة

المعجمية نجد الارتباط اللصيق بين مقدمة القاموس ومتنه، لأن المقدمة هي التي تؤسس نظام القاموس، وكثيرا ما تأخذ المقدمات والخطاب التمهيدي والعناوين وضع المؤلفات النموذجية» (Boulanger, 2006, p. 129).

فللمقدمة دور فاعل في القاموس، إذ لا تعتبر نصا ميتا نتجاوزه، بل إنها تعكس العمل الإجرائي الذي يقوم عليه القاموس، وكيف أُعمل فيه، والأهم أنها تُوجَه لمستعمل القاموس.

2.1. التعريف

يشكل التعريف أساس القاموس إذ تجمع الدراسات على أن المعنى غاية المعجمي، فمن أهم الحاجات التي توجهنا إلى القاموس، هو البحث عن كلمة لا نفقه معناها مما فرض اجتهاد القواميس بغية الإلمام بالتعريف وتبسيطه.

يعرف ألان ري التعريف على أنه «مجموع الكلمات المعروفة التي يحدد اتحادها المفهوم» (Rey, 2008, p. 97)، ويعرفه بن مراد «عملية لسانية تمييزية بين الأدلة اللغوية في خصيصتها الدلالية» (بن مراد، 2010، ص 159 / 160). فالتعريف إذن اتحاد مجموعة من الكلمات المعروفة لتفسير مفهوم يفترض مجهولا عند المتلقي. ويتم في أساسه بوضع عنصر في مقولته ثم تمييزه عن بقية العناصر المشكلة للمقولة بإظهار السمات الدلالية التفريقية، يقول أرسطو: «فإنه يجب على من يحد أن يجعل الشيء في جنسه ويضيف إليه الفصول» (أرسطوطاليس، 1980، ص 697).

2. التعريف في المقدمات بين الثبات وضرورة التغيير

1.2. التعريف في مقدمات القواميس القديمة

لم يحظ الدرس الدلالي في مقدمات القواميس القديمة ما حظي به الدرس الصوتي والصرفي والنحوي، إلا ما كان له علاقة بالجانب الصوتي أو الصرفي، ولما تناقلت القواميس التي تلت العين الكثير من متنه، والذي اعتبرته عينا لابد من النهل منها، كان الحديث في مقدماتها عن تيسيره، فكثر الحديث عن ترتيب المداخل، وهو العنصر الذي نال حصة الأسد من الاجتهاد، أما التعريف والدلالة عامة فلا نجد لهما غير إشارات

كقول الأزهري في مقدمة التهذيب «وكنت مذ تعاطيت هذا الفن في حداثتي إلى أن بلغت السبعين، مولعا بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها، وأخذها من مظانها» (الأزهري، 2001) دون التفصيل في كيفية عرضها، وإن أشار إلى ضرورة تبسيطها، حين يقول: «نزل القرآن الكريم والمخاطبون به قوم عرب، أولوا بيان فاضل وفهم بارع، أنزله جل ذكره بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشئوا عليه، وجبلوا على النطق به (...) ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه، حاجة المولدين الناشئين فيمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلَّمه، ولا يفهم ضروبه وأمثاله، وطرقه وأساليبه، حتى يفهَّمها»، (الأزهري، 2001) وفي السياق نفسه يقول ابن فارس في مقدمة مجمله: «إني لما شاهدت كتاب العين الذي صنّفه الخليل بن أحمد ووعورة ألفاظه وشدة الوصول إلى استخراج أبوابه (...) وسألتني جمع كتاب في ذلك يذلل لك صعبه ويسهل عليك وعره » (ابن فارس، 1986، ص 75)، إلا أن مفهوم تيسير وعورة الألفاظ حسب المقدمة نفسها لا يتعدى الاختصار إذ يستطرد فيقول: « أنشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام قريب، يقل لفظه وتكثر فوائده، ويبلغ بك طرفا مما أنت ملتمسه، وسميته مجمل اللغة لأني أجملت فيه الكلام إجمالا ولم أكثره بالشواهد والتصاريف إرادة الإيجاز» (ابن فارس، 1986، ص 75). فرغم قلة الاعتناء بالجانب الدلالي في المقدمات فإن القدماء عبروا في مقدماتهم عن ضرورة تغيير التعريفات لتغيّر المتلقّي.

2.2. التعريف في مقدمات القواميس الحديثة:

تحدثت القواميس الحديثة عن الشروح باقتضاب وإن بدأت العناية بالجانب الدلالي تتبلور في القواميس الصادرة مؤخرا، ونقف هنا عند عينة من أجود ما ألف؛ فاخترنا المعجم الوسيط، والمعجم العربي الأساسي، ومعجم اللغة العربية المعاصرة على سبيل التمثيل لا الحصر، لنعاين ماذا أوردت في مقدماتها.

نجد في مقدمة الطبعة الأولى للوسيط: «واستعانت اللجنة في شرحها للألفاظ بالنصوص والقواميس التي يعتمد عليها (...) وآثرت في الشرح الأساليب الحية على الأساليب الميتة» (مجمع اللغة العربية، 2004، ص 27)، وهذا إدراكا منها لضرورة تغيير

بعض التعريفات كما يتضح ذلك في تصدير الطبعة الأولى: «والمعجم العربي القديم على غزارة مادته، وتنوع أساليبه أصبح لا يواجه تماما حاجة العصر ومقتضياته، ففي شروحه غموض، وفي بعض تعاريفه خطأ» (مجمع اللغة العربية، 2004، ص 21)، كما بينت اعتماد تقنيات جديدة «أما فن القواميس الحديث فقد طبقته اللجنة أحسن تطبيق (...) ويسّرت الشرح، وضبطت التعريف، وصوّرت ما يحتاج توضيحه إلى تصوير» (مجمع اللغة العربية، 2004، ص 24)، ويتكرر مثل هذا الكلام في مختلف الطبعات فنجد في مقدمة الطبعة الثانية: «وتحرت في مراجعة الشروح والتفسيرات أن تجعل عبارتها أيسر منال، وأقرب إلى دقة وإحكام» (مجمع اللغة العربية، 2004، ص 18) وفي تصدير الطبعة الرابعة «وراجعت تعريفات المصطلحات العلمية وزادتها دقة وإحكاما» (مجمع اللغة العربية، 2004، ص 8)، فالملاحظ التفات مقدمات وتصديرات الوسيط إلى عنصر التعريف حيث أدركت ضرورة إصلاح بعض التعريفات لكن دون الدخول في أي تفصيل.

أما المعجم العربي الأساسي فنجد فيه إشارة مختصرة في قوله «ويضم هذا المعجم نحوا من خمسة وعشرين ألف مدخل (...) مفسرة بدقة وإيجاز» (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989، ص 9)، انتبه أحمد مختار عمر إلى إهمال الجانب الدلالي في القواميس السابقة فأورد في بداية قاموسه «منهج المعجم» وذكر فيه المعلومات الدلالية الواردة في المتن ثم المعاني وطرائق الشرح التي اعتمدها (مختار عمر، 2008، ص 14/20)، وهذه بداية للاعتناء بالجانب الدلالي في بعض القواميس.

أدرك المعجميون منذ القدم أن تغير المتلقي يستدعي المساس بالتعريفات وتحويرها، وكانت نيتهم في التغيير واضحة في المقدمات.

3. التعريف في المتون بين الثبات وضرورة التغيير

نجيب في هذا العنصر عن التساؤل الثاني، هل يجوز للمعجمي الاجتهاد في التعريف أم أنّ الثبات سمة التعريف؟

لنتأمل مدخل «طارَ» في القواميس:

الجدول 1: مدخل «طار» في القواميس

المعجم الوسيط	تحرك وارتفع في الهواء بجناحيه. (مجمع اللغة العربية، 2004)
معجم الغني	اِرْتَفَعَ فِي الجَوِّ مُحَرِّكا جَنَاحَيْه. (أبو العزم، 2013)
الرائد	ارتفع في الهواء وتحرك بجناحيه. (مسعود، 2005)
قاموس اللغة العربية المعاصرة	ارتفع وتحرّك بجناحيه في الجوّ. (مختار عمر، 2008)
المنجد في اللغة العربية المعاصرة	تحرك في الجو بجناحيه. (نعمة ومدوّر، 2001)
لسان العرب	الطَّيَرانُ: حركةُ ذي الجَناح في الهواء بِجَنَاحِهِ. (ابن منظور، بلا تاريخ)
Le Robert	Se soutenir et se déplacer dans l'air au moyen d'ailes (Robert, 20011)

نلاحظ نوعا من الاتفاق بين القواميس في تعريف «طار»، ولنطلق عليه «ثبات»، فسمة التعريف الثبات ولا نريد بالثبات ثبات الصياغة، بل ثبات السمات الدلالية التفريقية التي يشكل اتحادها المفهوم، ويمكن أن نجد لهذا الثبات علّتين الأولى لسانية ومنطقية والثانية معنوية:

العلة الأولى:

يتجلى الثبات من خلال النظريات التي حاولت التنظير للتعريف:

- فالنظرة البنوية ترى أن التعريف هو تفكيك السيمام إلى السمات الدلالية المكونة له. فكما يتحلل الفونيم إلى مجموعة من السمات الصوتية مثل مجهور شفوي انفجاري. فكذلك تتحلل الدلالة إلى سمات دلالية، (تحرك، في الجو، بجناح)، مما يوحي بثبات التعريف.
- من وجهة نظر لغوية اجتماعية: التعريف عند بوتنام (Hilary Putnam) عبارة عن قوالب اتفق عليها المجتمع. والاتفاق يوحي بالثبات.
- تمتد فكرة الثبات إلى أرسطو، إذ يقول: «كما أنّ من عادة الناس في المحافل التي

تجتمع فيها لوضع الشرائع أن يأتوا بشريعة: فإن كانت الشريعة التي أُتي بها أفضل من المتقدمة، رفضوا المتقدمة - كذلك ينبغي أن يفعل في الحدود أيضا، أعني أن يؤتى بحدّ آخر؛ فإن بُيّن أنه أجود من الأوّل وأدلّ على المحدود، فبيّن أنّ الأوّل يصير مرفوضا، **لأنه ليس يكون للشيء الواحد حدود كثيرة**». (أرسطوطاليس، 1980، ص 694)، فالتعريف عند أرسطو ثابت إلى أن يؤتى بتعريف أجود، فيُلغى الأوّل ويعتمد الثاني.

العلة الثانية: الخوف من التصحيف

ظلت التعريفات في القواميس القديمة تُتناقل دون تبديل أما مرد هذا فقد يكون إقرار اللاحقين بكون هذه النصوص التي دونت في عصور أفصح لا يجب أن يطالها التصحيف يقول ابن منظور في مقدمة اللسان: «لأنني نقلت من كل أصل مضمونه ولم أبدل منه شيئا فيقال إنما إثمه على الذين يبدلونه، بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالفصّ، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص»، فالوازع الديني الذي فجر الدراسات اللغوية بقي قائما للحفاظ على هذه النصوص نفسها كما نفهم هذا من كلام ابن منظور «فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها؛ إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية».

فالأصل في التعريف الثبات متى نعت بالكمال، إلا أن تغيير التعريف جائز وله مبرراته وقد يصير ضرورة، وقد أدرك المعجميون ضرورة التغيير وتحدثوا عنه في قواميسهم قديمها وحديثها، إلا أن الممارسة المعجمية في عصرنا تظهر بأن المساس بالتعريفات القديمة أو وضع تعريفات للمفاهيم الجديدة لا يكون بهذه البساطة، والمهمة الملقاة على عاتق المعجمي ليست بالسهلة إطلاقا.

4. إشكالات في الممارسة المعجمية بين الثبات والتغيير

بين سمة الثبات في التعريف وضرورة التغيير لمواكبة لغة العصر، يواجه المعجمي في عصرنا معطيات عسّرت وظيفته وعقدت مهمته، كاتساع الرقعة العربية وتميزها بالثنائيات اللغوية، نحاول في هذا العنصر تعداد بعض المعطيات التي استجدت

وتجلياتها في التعريف في القواميس الحديثة، من هذه المعطيات ما يبرر تغيير التعريف ويستدعيه، ومنها ما يحتاج إلى تخصيص دراسة له بحثا عن الحلول.

1.4. تطور المعرفة

تستدعي بعض التعريفات التي دونت في عصر السليقة التبديل، فتطور العلم والحياة عموما قد يجعل بعض السمات الدلالية في التعريف لا توافق عصرنا في مثل مدخل «سُل»:

الجدول 2: مدخل «سُل» في القواميس

	العين	لسان العرب	المعجم الوسيط	المعجم العربي الأساسي
مدخل: السُّل أو السِّلُّ أو السُّلال	السُّلُّ والسُّلال: داء يأخذ الإنسان ويقتل. (الفراهيدي، بلا تاريخ)	السُّلُّ والسِّلُّ والسُّلال: الداء وفي التهذيب داء يهزل ويضني ويقتل. (ابن منظور، بلا تاريخ)	مرض يصيب الرئة، يُهزل صاحبه ويضنيه ويقتله. (مجمع اللغة العربية، 2004)	مرض يصيب الرئة، يهزل المصاب وقد يميته إذا لم يعالج. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989)

لا يزال السل باعتباره داء موجودا في عصرنا، فاستوجب هذا المفهوم مكانته بين مداخل القاموس، إلا أن هذا المرض لم يعد يقتل في زماننا إلا نادرا، فسمة «يقتل» لم تعد سمة دلالية تفريقية تميّز هذا الداء عن غيره من الأدواء، فكان ينبغي على الوسيط أن يغير التعريف أو يعدله كما فعل الأساسي.

2.4. تغيّر الجمهور المخاطب

كتبت التعريفات في غير هذا العصر، ولم يكن الإيجاز عندها مخلا باعتبار أن المتلقي والمعجمي من عصر واحد، وتجمعهم قوالب مشتركة، ولم يتنبأ القدماء بتطور اللغة وتغيرها، وأكبر دليل على ذلك الاكتفاء في بعض التعريفات بكلمة «معروف فنجد على سبيل التمثيل في اللسان: الغريف: نبت معروف. (ابن منظور، بلا تاريخ) إلا أن الجمهور

تغير وقد يصير ذلك المعروف مجهولا وذلك التعريف مخلا في عصرنا مما يستدعي التوضيح أكثر.

ففي مدخل «إدام» نقرأ في مجموعة من القواميس المعاصرة:

الجدول 3: مدخل «إدام» في القواميس الحديثة

مدخل	المعجم الوسيط	المعجم العربي الأساسي	قاموس اللغة العربية المعاصرة	معجم الغني	الرائد	المنجد في اللغة العربية المعاصرة
إدام	ما يُسْتَمْرَأُ به الخبز. والجمع: أُدُم (مجمع اللغة العربية، 2004)	طعام يخلط مع الخبز. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989)	ما يُؤكَل بالخبز، أو ما يخلط معه لتطييبه (مختارعمر، 2008) .	اِمتَلأَ الطَّجينُ بِالإِدَامِ: بالْمَرَقِ وَالدَّسَمِ، وَهُوَ ما يُؤْتَدَمُ بِهِ مَعَ الخُبْزِ وَيُطَيِّبُهُ . (أبو العزم، 2013)	ما يجعل مع الخبز فيطيبه (مسعود، 2005).	ما يُسْتَمْرَأُ به الخبز. (نعمة ومدوّر، 2001)

فالقليل منا يعرف الكلمة وإن كان يعرفها فنادرا ما يستعملها لأنه يجهل حدودها، فهل الزبدة والمربى إدام؟ فهذه التعريفات فيها من إيجاز القدماء ما لا يناسب عصرنا، حاول صاحب قاموس الغني الإسهاب في توضيح دلالة الكلمة في مثال مشروح لغموضها، فاتكل على حدسه اللغوي فأثرت فيه الدارجة المغربية فخصص الإدام للمرق والدسم، أو اختار المعنى الدارج للكلمة.

فتعريف بعض الكلمات يُلزم المعجمي استفتاء القواميس القديمة والتوسع إلى غيرها، حتى يتبين دلالتها ففي لسان العرب: والإِدامُ معروف ما يُؤْتَدَمُ به مع الخبز... وفي الحديث: سَيِّدُ إِدامِ أَهْل الدُّنيا والآخرة اللحمُ؛ وفي الحديث: نِعْمَ الإِدام الخَلُّ. (ابن منظور، بلا تاريخ)

وفي الصحاح: والأُدْمُ والإدامُ: ما يؤتَدَمُ به. تقول منه: أَدَمَ الخبزَ باللحم يَأْدِمُهُ، بالكسر. (الجوهري، 1990)

وإذا ابتعدنا إلى غير القواميس نقرأ مثلا في جمع الوسائل في شرح الشمائل لعلي بن سلطان محمد القاري: في بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ إِدَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَفِي النِّهَايَةِ الْإِدَام بِالْكَسْر، وَالْأُدَام بِالضَّمّ، مَا يُؤْكَلُ مَعَ الْخُبْز أَيَّ شَيْءٍ كَانَ يَعْنِي مَائِعًا أَوْ غَيْرَهُ (...) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : نعم الإدام الخل (...) جبرا وتطييبا لقلب من قدمه، لا تفضيلا له على غيره، إذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن لكان أولى بالمدح منه» (القاري، بلا تاريخ).

فتتضح عندها دلالة الإدام وحدودها. فقد يجوز عندها إيراد هذا التعريف وتوضيحه بمثال يظهر بعض الإدام مما هو شائع في عصر المعجمي:

إدام: ما يؤكل بالخبز سواء أكان مائعا أم لا. ((الجبن والمربى واللحم والحليب إدام))

فتغيّر الجمهور يستدعي تغيير التعريف والخروج عن الاقتضاب للإيضاح.

3.4. ميوعة الحدود بين المستويات اللغوية

تتميز المجتمعات العربية بالثنائية اللغوية، وقد يؤثر الاستعمال الدارج للكلمة على الفصيح فيفقد التعريف سمة الثبات، في مثل كلمة «طاس»:

الجدول 4: مدخل «طاس» في القواميس الحديثة

مدخل	المعجم الوسيط	المعجم العربي الأساسي	معجم الغني	الرائد	المنجد في اللغة العربية المعاصرة
طاس	الطَّاسُ: إناءٌ من نُحاسٍ ونحوِه يُشْرَبُ فيه، أَو به. (مجمع اللغة العربية، 2004)	إناء صغير يوضع به ماء ويعدّ على المائدة ليغسل فيه الآكل أصابعه .(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989)	طَاسُ الغَسْلِ:- : إِنَاءٌ مِنْ نُحَاسٍ تُغْسَلُ فِيهِ اليَدانِ اسْتِعْدَاداً لِلأَكْلِ (أبو العزم، 2013)	طاس إناء من نحاس يشرب فيه. (مسعود، 2005)	إناء صغير مستدير للشرب. (نعمة ودوّر، 2001)

ففي القواميس القديمة نجد في لسان العرب مثلا:

والطَّاسُ: الذي يُشرب به. (ابن منظور، بلا تاريخ)

يُظهر مثال «الطاس» تباينا في التعريف بين القواميس المعاصرة وكأنها لا تصف لغة واحدة، فنجد في السمات الدلالية الوظيفية سمة للغسل في بعضها، وسمة للشرب في أخرى، وفي السمات الوصفية جعلها البعض من نحاس.

ففي هذا المثال فقد التعريف صفة الثبات بلا مُسوّغ، مما يُدخل بعض الشك إلى متصفح القاموس فيفقد القاموس مصداقيته.

فهل انتبه المعجميون إلى تأثرهم بالعامية، وهل يدون كل معجمي عربي ما هو موجود في بيئته؟ ونتيجة لهذا: هل نحن نسير نحو قواميس عربية بدل قاموس عربي؟

4.4. اصطدام الاجتهاد بالسلامة اللغوية

وقد يكون التباين وعدم الثبات في التعريفات مرده اصطدام الدلالات الجديدة بالسلامة اللغوية:

نجليها بالمثال الآتي:

الجدول 5: مدخل «شمسية»، «مطرية» و«مظلة» في القواميس الحديثة

مدخل	المعجم الوسيط	المعجم العربي الأساسي	معجم اللغة العربية المعاصرة	معجم الغني	الرائد	المنجد في اللغة العربية المعاصرة
شمسية	مِظلَّة تُحْمَل في اليد تُتَّقَى بها الشمس، وهي تطوى وتنشر. (مجمع اللغة العربية، 2004)	مظلّة تُطوى وتُنشر يُتّقى بها من حرارة الشمس أو المطر. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989)	مظلّة تُطوى وتُنشر يُتّقى بها من حرارة الشمس أو المطر. (مختار عمر، 2008)	الْمِظَلَّةُ تُطْوَى وَتُنْشَرُ. (أبو العزم، 2013)	مظلة يتقى بها المطر والشمس. (مسعود، 2005)	مِظلَّة تُحْمَل في اليد يتَّقَى بها من الشمس، أو المطر وهي تطوى وتنشر. (نعمة ومدوّر، 2001)
مطريّة	أَداة كالمظلة تقي من تحتها المطر. (مجمع اللغة العربية، 2004)	/	/	* أَدَاةٌ تُحَمَلُ لِلْوِقَايَةِ مِنَ الْمَطَرِ .... (أبو العزم، 2013)	/	مظلة تطوى وتنشر يتقى بها من المطر، وتسمى أيضا شمسية. (نعمة ومدوّر، 2001)

مظلة	المِظَلَّةُ :ما يستظلُّ به . (مجمع اللغة العربية، 2004)	أداة تظل السائر في الشمس أو الجالس على البحر كما تحمي من المطر. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989)	ما يُستتر ويُستظلّ به من الشّمس أو المطر وغيرهما. (مختار عمر، 2008)	* مَا يُسْتَظَلُّ بِهِ مِنَ الشَّمْسِ./ مَا يُسْتَتَرُ بِهِ مِنَ الْمَطَرِ. (أبو العزم، 2013)	مظلة :ما يستظل به ويستتر من الشمس أو المطر. (مسعود، 2005)	مظلة: أداة تظل السائر في الشمس أو الجالس على البحر كما تحمي من المطر. (نعمة ومدوّر، 2001)

نجد في القواميس القديمة:

الظُّلَّة والمِظَلَّة سواءٌ، وهو ما يُسْتَظَلُّ به من الشمس، ولا نجد فيها المطرية والشمسية فهي مستحدثة.

تتصادم في هذا المثال السلامة اللغوية مع الاستعمال، فأي المذهبين أصح:

مذهب الوسيط الذي راعى السلامة اللغوية والمنطق فجعل المطرية للمطر والشمسية للشمس؟

أم القواميس الأخرى التي راعت الاستعمال رغم منافاته لمنطق اللغة فجعلت الشمسية للشمس والمطر؟ وبين المذهبين فقد التعريف ثباته دون مُسوّغ مما يضرب مصداقية القاموس.

5.4. عدم الاتفاق في المفاهيم الجديدة:

ليست السلامة اللغوية هي الدافع الوحيد لعدم الاتفاق وانعدام الثبات في التعريف، فقد نجد اختلافا في القواميس يعكس عدم تبلور المفهوم في الاستعمالات المعاصرة،

ففي مدخل «مرطبات»:

الجدول 6: مدخل «مرطبات» في القواميس الحديثة

مدخل	المعجم الوسيط	المعجم العربي الأساسي	معجم اللغة العربية المعاصرة	معجم الغني	الرائد	المنجد في اللغة العربية المعاصرة
مرطِبات	/	مشروبات حارّة أو مثلجة (شاي، قهوة، ليموناده، عصير فواكه ونحوها) (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989)	مشروبات حارّة أو مثلجة (شاي، قهوة، ليموناده، عصير فواكه ونحوها) (مختار عمر، 2008)	مُخْتَلِفُ أَنْوَاعِ الْمَشْرُوبَاتِ، عَصِيرُ الفَاكِهَةِ وَنَحْوُهُ. (أبو العزم، 2013)	مشروبات من عصير الفاكهة أو نحوه، غازية أو غير غازية، تشرب مبردة فترطب الحلق والجسم. (مسعود، 2005)	مشروبات مثلجة. (نعمة ومدوّر، 2001)

فمرطبات في بعض القواميس حارة أو مثلجة، وفي الأخرى مثلجة فقط، وفي هذا المثال أيضا فقد التعريف ثباته.

6.4. مجانبة بعض المفاهيم اللسانية والمعجمية الحديثة

إن إرادة المعجمي في التغيير لتحيين التعريف أو إدراج المفاهيم الجديدة قد تتنافى مع بعض المفاهيم اللسانية والمعجمية، مما يسبب خللا في التعريف ومن ذلك:

1.6.4. الجمع بين مدلولين في تعريف واحد

ففي تعريف «مقراض» في قاموس اللغة العربية المعاصرة نجد:

مقراض: اسم آلة من قرَضَ: مِقَصٌّ تُقَلَّمُ به أغصانُ الشّجر أو تقصّ به الأظافرُ.

(مختار عمر، 2008)

دمج التعريف مفهومين أو مدلولين مختلفين في تعريف واحد لاشتراكهما في الدال، فأي صورة ترتسم في الذهن عند قراءة هذا التعريف؟ فأداة تقليم الشجر تختلف عن أداة تقليم الأظافر ولو حاول إيراد سمات وصفية للاحظ الحاجة إلى الفصل بين المفهومين؟

فكان يفترض أن تقدم كل دلالة على حدة:

مقراض:1- مِقَصٌّ تُقَلَّمُ به أغصانُ الشّجر.

2- أداة تقص بها الأظافر.

أو تقديم تعريف باللغة الواصفة للكلمة:

اسم يطلق على بعض أدوات القطع كمقص تقليم أغصان الشجر، وأداة قص الأظافر.

والملاحظة نفسها في مدخل «غمامة»:

- غِمامة: كِمامَةٌ، مَا يُشَدُّ بِهِ الخَطْمُ أَوْ فَمُ بَعْضِ الدَّوَابِّ لِمَنْعِهَا مِنَ الاعْتِلاَفِ أَوِ الْعَضِّ، كَمَا تُغَضُّ بِهِ أَحْيَاناً عَيْنَا الثَّوْرِ أَوْ نَحْوِهِ وَهُوَ يَدُورُ حَتَّى لاَ يُصابُ بِالدَّوارِ. (أبو العزم، 2013)

2.6.4. خلط بين وظيفة التعريف ووظيفة المثال:

من أهم سمات التعريف أنه عام والكلمة في التعريف ذاتية الدلالة (تحيل على ذاتها)، وهي في المثال تحيل على العالم ولكن المثال خاص من عام، ولا يجب أن تختلف الدلالة بين التعريف والمثال الذي يوضح التعريف، ولاختبار ذلك نقوم بتعويض الكلمة بتعريفها في سياق. وهذا مثال توضيحي:

طار: تنقل في الهواء بجناحيه. (تعريف عام)

يمكن للنسر أن يطير بسرعة. (مثال خاص)

فيمكننا أن نعوض المدخل في المثال بالتعريف دون أن يتغير المعنى على النحو الآتي: يمكن للنسر أن (يتنقل في الهواء بجناحيه) بسرعة.

وهذا ما لا يصدق في بعض التعريفات، إذ ترد معها بعض الأمثلة على شكل مداخل مركبة أو متلازمات وكان يفترض أن تشكل مداخل فرعية، ومن ذلك:

مدخل «زمارة»:

زمّارة: آلة من خشب أو معدن بها ثقوب للأصابع، ولها مفاتيح، تنتهي قصبتها ببوق صغير، يُنفخ فيها فتحدث صوتًا:- زَمّارة سيّارة / الإنذار .(مختار عمر، 2008)

فهل زمارة السيارة (klaxon) الواردة مثالا، آلة من خشب أو معدن بها ثقوب للأصابع، ولها مفاتيح، تنتهي قصبتها ببوق صغير...، فليس هذا المثال خاصا من عام، ولا ينطبق عليه التعريف.

تمس مثل هذه الزلات بالوظائف الأساسية لعناصر القاموس فوظيفة المثال تجسيد المدخل في سياق، لتوضيح المعنى الموجود في التعريف.

فكان يفترض أن نورد «زمارة سيارة» مدخلا فرعيا ونقدم له تعريفا مغايرا مثل: جهاز إنذار صوتي في سيارة، ولكن قد يكون الخوف من التجديد هو ما يجعل المعجمي يبحث عن وسيلة أخرى لإدخال المفهوم الجديد إلى القاموس، بوضعه في المثال إلا أن هذه الطريقة أحدثت خللا في القاموس.

خاتمة

خطا التأليف المعجمي خطوات معتبرة بفضل جهود مجموعة من المعجميين الذين ألفوا مراجع مهمة على غرار الوسيط والمعجم العربي الأساسي والمنجد في اللغة العربية المعاصرة والغني ومعجم اللغة العربية المعاصرة، وتُظهر مقدمات هذه القواميس صحوة مؤلفيها واطلاعهم على المنهجيات الحديثة وإدراكهم لضرورة التغيير. وهذا ما تحقق في غالبية المداخل إلا أن هذه القواميس لم تبلغ الكمال ومازالت تحتاج إلى تنقيح وإحكام كما أظهرنا هذا من خلال بعض العينات.

يحتاج التعريف إلى ثبات على المستوى الآني، ليصير القاموس مصدرا مستقرا ومرجعا يطمئن إليه مُرتاده، بينما يزرع عدم الاتفاق في السمات الدلالية التفريقية الأساسية في العصر الواحد نوعا من الاضطراب والفوضى، ما يجعل المتلقي محتارا في أي الدلالات

أصح ليتعامل مع القاموس بحذر فيفقد هذا الأخير مصداقيته.

إن الثبات أصل في التعريف، على المستوى الآني، لكن التغيير على المستوى الزماني ضرورة أدركها المعجميون ولها علل منطقية منها:

- التطور الدلالي: فدلالة الألفاظ قد تتطور من عصر لعصر آخر لتتسع أو تنحصر أو تنتقل، ما يفرض علينا تغيير التعريف خاصة إذا كان منهجنا آنيا، أما إذا كان زمانيا فنحتفظ بالتعريف القديم ونتبعه بالتعريفات المختلفة من الأقدم إلى الأحدث.

- تطور النظريات اللسانية: فالتعريف نشاط طبيعي تحاول الدراسات اللسانية تقنينه في محاولات لتحسين وظيفته، من ثمة قد يتغير التعريف بتغير النظريات وتطورها.

- تطور المعرفة: إن المعرفة نسبية ما يجعل التعريف في زمن ما مرتبط بالمعارف السائدة في تلك الفترة وبتطور العلوم قد يثبت خطأ بعض التعريفات، ما يستدعي تغييرها.

- تغير الجمهور المستهدف بالقاموس.

تتعالى الدعوات إلى تأليف قواميس آنية تقنن الاستعمال المعاصر للغة الفصحى إلا أن نية التغيير عند المعجمي يشلها وضع لغوي خاص متميّز بالثنائية اللغوية، وخوف متوارث مرده التعامل مع لغة القرآن.

لم يهدف المقال إيجاد الحلول بقدر ما كان استهداف بعض الإشكالات عسى أن نتقاسم معاناة المعجمي وأن نفتح للدارسين بعض الإشكالات المعجمية التي تحتاج إلى الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع:

باللّغة العربية:

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. (1986). *مجمل اللغة*. سلطان زهير عبد المحسن (محقق). بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل. (د. ت). *لسان العرب*. تم الاسترداد من http://boetry.net
- أبو العزم عبد الغني. (2013). *معجم الغني الإلكتروني*.
- أرسطوطاليس. (1980). الطوبيقا. *نقل أبي عثمان الدمشقي في منطق أرسطو*. عبد الرحمن بدوي (محقق ومقدم). (ج02). الكويت، بيروت: وكالة المطبوعات دار القلم.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (2001). *تهذيب اللغة*. محمد عوض مرعب (محقق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- بن مراد، إبراهيم. (2010). *من المعجم إلى القاموس*. تونس: دار الغرب الإسلامي.
- جبران، مسعود . (2005). *الرائد*. بيروت: دار العلم للملايين.
- الجواهري، إسماعيل بن حماد. (1990) *معجم الصحاح* (ط4). دار العلم للملايين.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (د.ت). *العين*. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي (محققان). دار ومكتبة الهلال.
- القاري، علي بن سلطان محمد الملا الهروي. (د. ت). *جمع الوسائل في شرح الشمائل*. تم الاسترداد من http://www.al-eman.com
- مجمع اللغة العربية. (2004). *المعجم الوسيط* (ط4). مصر: مكتبة الشروق الدولية.
- مختار عمر، أحمد. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. القاهرة: عالم الكتب.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (1989). *المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها*. توزيع لاروس.
- نعمة، أطوان ومدوّر، عصام. (2001). *المنجد في اللغة العربية المعاصرة*. (ط2). بيروت: دار المشرق.

باللّغة الأجنبية:

- Boulanger, J.-C. (2006).Sur les variations éditoriales dans l'adresse aux lecteurs du petit Larousse illustré de 1906 à 2005. *Cahiers de lexicologie, n 88.*
- Rey, A. (2008). *De l'artisanat du dictionnaire à une science de mot.* Paris: Armand Colin.
- Robert, P. (2011). *Le petit Robert, texte remanié et amplifie sous la direction de Josette Rey-Debove et Alain Rey.*